التأويلات الصوفيـة العقدية بين العقـل والنقـــل.

أ. مريم ميلاد جبريل - قسـم الدّراسات الإسلاميـة - كلية التربية براك - جامعة سبها.

المقدّمــــــة :

هناك كثير من الجماعات والطوائف الدينية ، ومن هــــذه الجماعات الصوفية ، لهم منطلقات عقدية خاصة بهم في تأويل النص وحدوده ومصادره ، ويسعى هذا البحث للوقوف على تأويلات المتصوفة العقلية والنقلية ومعرفة مصادرها ، ومن هنا انطلقت مشكلة هذا البحث ، وترجع أهميته إلى : ضبط مصطلح التأويل عند الصوفية، والوقوف على الفــــرق بين مصطلحات التأويل والشـــــرح والتفســــير، وإيراد نماذج لتأويلات الصوفيــــة المعتمدة علي النقل والعقل، ويسير هذا البحث وفق المنهج الوصفي المعتمد على الاستقراء والتحليل ، وكذلك المنهج التاريخي المعتمد على الجوانب التاريخية للتصوف،

الكلمات المفتاحية : العقيدة ــ الصوفية ــ التأويل ـــ المنهج ـــ العقل.

خطة البحث :

انتظم البحث في مقدمة : تضمنت فكرة البحث ، ثم المبحث الأول: مفهوم التصوف، ونشأته. ، والمبحث الثاني: التأويل، التعريف والمنهج، الثالث: نظرات في التأويلات العقدية للعقل والنقل ، ثم الخاتمة: تضمنت النتائج والتوصيات.

المبحث الأول ـ مفهوم التصوف ونشأته.

أولاً ـــ المفهـــــــــــوم : يمكن التعرف على مدلول التصوف من خلال ما ورد في كتب المعاجم العربية على نحو ما ذكر الزبيدي في هذا اللفظ: الصوف للغنم كالشعر للمعز، والصوف للواحد على تسمية الطائفة باسم الجمع، والصُّفيّة، هم الصوفية نسبوا إلى أهل الصفة [(1)]

وفي أساس البلاغة: " فـــــلان يلبس الصوف والقطن، أي : ما يُعمل منهما، وآل صوفان و آل صفوان كانوا يخدمون الكعبة ، و يتنسكون ، ولعلّ الصوفية نســــبوا إليهم تشبيهاً بهم في النسك والتعبد أو إلى أهـــل الصفة فقيل : مكان الصفية الصوفية"[(2)]، وفي المعجم المعاصر: " التصوُّف مصدر " تصـــــوَّف " ، وخرقة التصوُّف : ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يــــده ، «سف» ، وطريقة في السلوك يعتمد علي التقشف ومحاسبة النفس ، والانصراف عن

كل ما له علاقة بالجسد والتحلي بالفضائل ، وتزكية للنفس وسعياً إلى مرتبة الفناء في الله – تعالى- ، إيماناً بالمعرفة المباشـــرة أو بالحقيقة الروحية .

وعلــــم التصـــــــوّف : مجموعة من المبـــــادئ التي يعتقدها المتصوفة والآداب التي يتأدبون بها في مجتمعاتهم وخلواتهم " (3) ، ويقول الكلاباذي : مادة التّصوف ســـواء أكانت أخلاقاً أو معرفة أو سلوكاً أو تعبيراً عن مشــــاهدة أو تصوير لمنجاة أو تذوقاً لتجليات أو تحليقاً حول أشرفات فهي مادة موصلة بالله قائمة به وله فانية فيه سبحانه ، لهذا آمـــن الصّـــوفية بأنهم أحباب الله وأصفياؤه وأولياؤه وصفوة عباده وحــــرّاس ينابيعه وآياته ، كما آمنوا بأنّ أعمالهم وحركاتهم ومعارفهم وأذواقهم ومقاماتهم كلها هبات الله وفيض عطاياه ، وإن مولاهم سبحانه هو مربيهم ومعلمهم وهاديهم ومرشدهم ، وإنه الحبيب القريب المجيب الآخـــذ بنواصيهم إلى وجهه الكريم(4) وفي المعجم الوسيط : التصوف:" طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لتزكو النفس وتسموا الروح " ، وعلم التصوف : مجموعة المبادئ التي يعتقدها المتصوفة والآداب التي يتأدبون بها في مجتمعاتهم وخلواتهم ، أما الصوفي : فمن يتبع طريقة التّصوف والعارف بالتصوف ، وأشهر الآراء في تسميته أنه سمي بذلك ؛ لأنه يفضل لبس الصوف تقشفاً) (5)ـ ، كما عــــرّف الجرجاني التصوف بقوله : هو الوقـــوف مع الآداب الشرعية ظاهراً ، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن ، وباطناً، فيرى حكمها من الباطن في الظاهر ، فيحصل للمتأدب بالحكمين كمالاً، ومذهب التصوف كله جد، فلا يخلطونه بشــــيء من الهـــــزل ، وقيل : تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد صفات البشرية ، ومجانبة الدعاوي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بعلوم الحقيقة واستعمال ما هو أولى على السرمدية ، والنّصــــح لجميع الأمة ، والوفاء لله ـ عـــزّ وجل ـ على الحقيقة ، و اتباع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الشريعة، وقيل : ترك الاختيار ، وقيل : هو صفاء المعادلة مع الله – تعالى - ، وأصله : التفرغ عن الدنيا، وقيل : الصبر تحت الأمر والنهي، وقيل : خدمة الشرف ، وترك التكلف، واستعمال التظرف ، وقيل: الأخذ بالحقائق والكلام بالدقائق واليأس مما في أيدي الخلائق) (6) والصوفــي : بالضم وسكـــون الواو عند أهل التصوف هو الذي فانٍ بنفسه باقٍ بالله ـ تعالى ـ مستخلص من الطبائع متصلٌ بحقيقة الحقائق، والمتصوف : هو الذي يجاهد لطلب هذه الدرجة ، والمستوصف : هو الذي يشبّه نفسه بالصوفي والمتصوّف لطلب الجاه والدنيا وليس

بالحقيقة من الصوفي والمتصوف، قال الجنيد : الصوفية هم القائمون مع الله - تعالى - بحيث لا يعلم قيامهم إلاّ الله، وقال سهل التستري : التصوف القيام مع الله- تعالى - بحيث لا يعلمه غير الله ، وقيل : أول التصوف علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله ، وقال الشبلي: هو حفظ حواسك ومراعاة أنفاسك (7)

من هذه التعريفات العديدة التي وضعت للفظ التصوف تدل على تعدد وجوه النظر في فهم معناه ، ولذلك لم تتكون من طوائف المتصوفة فرقة مستقلة خاصة بهم، ولا مذهب بمسماهم.

نشأة التصوف : اختلف الباحثون والعلماء في نشأة التصوف ، ومما قيل في نشأة التصوف : أن الصوفية دين من أديان الهند نقل إلى العالم الإسلامي عن طريق الزنادقة، فإن الهنود الوثنيين عندهم فلسفة ورياضة يسمونها : « الثيوصوفية» ومعناها : عاشق الإله، أو عاشق الله، فالثيوصوفية ، مثل الفلسفة، فإن كلمة (فيلاسوف) معناها : محب الحكمة، والحكمة هي أسرار الأشياء واللطائف التي تكون في الأشياء ومكونات الأشياء، وكذلك معنى : (ثيوصوف) ، أي: عاشق الإله ، فإن (صوف) بمعنى : محب أو عاشق، و(ثيو) بمعنى : الإله، وعند الحديث عن أديان الهند ذكر أن عندهم طائفة تسمى : « الثيوصوفية » وذكر أوصافهم أنهم يعشقون الإله ، وأنهم يتصوّرون أنهم إذا تعلقوا بالإله فإن الإله يعطيهم من فيضه ويعطيهم من جوده ما يمكن أن يتصرفوا به في الكون من حولهم وانتقلت هذه الديانة إلى العالم الإسلامي عن طريق الزنادقة كما ذكر، فإن الأمة المسلمة لما أظهر الله - عزّ وجل - دينها، وحكم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الجزيرة، وانطلقت الفتوحات في زمن أبي بكر الصديق وزمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - استطاع الصحابة- رضوان الله عليهم - أن يكسروا شوكة أمم كثيرة ، ومنهم الفرس والهنود وأمثال هؤلاء، فدخل كثير من أبناء هذه البلدان المفتوحة في دين الله - عزّ وجل - نفاقاً، فلما دخلوا نفاقاً أرادوا أن يفسدوا هذا الدّين من داخله ، وذلك عن طريق إثارة بعض العقائد الباطلة وبعض المفاهيم المنحرفة، ومحاولة تغيير الدين من داخله (8) . يقول العتيبي : الصوفية أنفسهم مختلفون في نشأة الصوف وظهوره ، فيرى الطوسي : أن أول نشأة التصوف كانت في الجاهلية قبل الإسلام ، بينما يقول القشيري أن هذا الاسم اشتهر قبل المائتين من الهجرة، وقال بعض العلماء إن أول من أسس التصوف هم الشيعة (9)

وبهذا ظهر دين الشيعة، وظهر - أيضاً - التصوف من خلال هؤلاء ،

وظهرت الباطنية الذين يزعمـــون أن مشايخهم آلهة يـــرون الكون ويتصرفون فيه، بأفكارهم وعقائدهم ، فأدخل الزنادقـــة ذلك الانحراف في حياة المسلمين ، فلما أدخله الزنادقة في حياة المسلمين ووجدوا طائفة من المسلمين يتميزون بالزهد ويتميزون بالتقشف ويتميزون بكثرة العمل الذي يكون متعلقاً بالعبادة ، فلما وجدوا هـــؤلاء لاسيما مع كثرة الجهل ، أظهروا لهم الزهد وأظهروا لهم التعبد ، ثم بعد ذلك أظهروا شيئاً من عقائدها ، حتى ظهرت هذه الطائفة التي سميت فيما بعد بالصوفية، ولا يعني هذا أن كل من انتسب إلى الصوفية زنديق ، فكل دعوة من الدعوات وكل مذهب من المذاهب فيه مخدوعون كثر، لا يعرفون حقيقة هذا المذهب ، ولا يعرفون فكرته الأساسية ، وإنما ينتسبون إليه مجرد انتساب ، وهذا يدل على أنه ليس كل واحد من الصوفية لابد من أن يكون زنديقاً يريد هدم الإسلام من الداخل ، لكن الذين نقلوها إلى العالم الإسلامي ، والذين دبروا هذه المكيدة للمسلمين ؛ لا شك في أنهم زنادقة (10)) وحاصل الأقوال أن الجميع متفقون على حداثة الاسم ، وعدم وجوده في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه والسلف الصالح، وقد ذكر ابن الجوزي وابن تيمية الأطوار التي مرّ بها التصوف ، وحاصلها نزعة الزهد والورع والمبالغة في ذلك مع فقه في الدّين ، وهذا الطور كان من نهاية القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني ، وهذه المظاهر وجدت عند بعض التابعين، لكن لم يكن يصحبها شيء من الانحراف ، لا في العقائد، ولا في السلوك، إنما كان تشديداً على النفس) (11).

المبحث الثاني ــ التأويل، التعريف والمنهج :

لا يتم معرفة المعنى اللغوي للفظ (التأويل) إلاّ بالرجوع إلى أصل استعمالها عند العرب فنجد استعمالها يكمن في معنيين يذكرهما المفســـرون في تفسيرهم للفظ التأويل الأول: قول الجوهري: (التأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء وقد أولته وتأولته تأولاً بمعنى) (12) والمعنى الثاني يقول الأزهـــري : (معنى التأويل : الرجوع والمآل والعاقبة والعود والمصير) (13) ، ومما اصطلح عليه الفقهاء وغيرهم في معنى التأويل قولهم : (وهو تفسير الآية أو الحديث بمعنى : غير ما يفهم من ظاهر اللفظ، ولذلك يقول العلماء كثيراً في عباراتهم: إن هذا الحديث أو هذه الآية من الصريح الذي لا يحتمل التأويل، أي : لا يحتمل معنى آخر يخرجه عن المراد الظاهر من لفظه، فالمعنى الظاهر لا يخرج عن المفسر المؤول إلاّ بدليل أو قرينة، لأنه يكون شبيهاً بالمعنى المجازي ، وقد ورد لفظ التأويل في آيات من القرآن على المعنى اللغوي الأصلي ، ولكن بعض

العلماء والمفسرين ظنها مما يدخل في التأويل الاصطلاحي فنشأ عن ذلك اختلاف واضطراب في آرائهم وأمّا قول الله ــ عز وجل ــ (**هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ**) [14] قال الطبري : " معناه، هل ينظرون إلاّ ما يؤول إليه أمرهم من البعث، قال : وهــذا التأويل هو قوله - تعالى- : (**وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ**)[15] هذه الآيــة وإن نزلت في أهل الشــرك فإنه معنيٌّ بها كل مبتدع في دين الله بدعة فمال قلبه إليها ، تأويلاً منه لبعض متشابه آي القرآن ثم حاجّ به وجادل به أهل الحق ، وعدل عن الواضح من أدلة آياته المحكمات، إرادة منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين، وطلباً لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك، كائناً من كان من المبتدعة من أهل النصرانية أو اليهودية أو المجوسية أو سبئياً أو حرورياً أو قدرياً، أو جهمياً) [16]، قال المغراوي بل هو الصواب الذي لا يفهم من القرآن غيره ، ثم دخل على المسلمين ناس اتبعوا المتشابه في مثل هذا، وأكثروا من القول في القرآن بغير علم، حتى ادعوا أن له ظاهراً وباطناً، وأن الباطن لا يعلمه هــؤلاء إلاّ بشيء يزعمونه نحو: الإلهام، وهم لم يفقهوا ظاهر القرآن، ولم يعرفوا شيئاً من السُنة، أو عرفوا وأعرضوا عنه لما وقر في نفوسهم من حب الإغراب أو من آراء تنافي الإسلام ، فأرادوا أن يلصقوها به، وعن ذلك نشأت تأويلات الصوفية، وهذه التأويلات لا تمت إلى الإسلام بصلة وإن كان قائلوها يسمون بأسماء إسلامية، ويذكرون في تاريخ الإسلام، وتذكر أقوالهم وآراؤهم مع آراء علماء الإسلام، والإسلام دين واضح سهل لا رموز فيه ولا ألغاز، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ــ قد ترك المسلمين على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، فكل من جاء من هذه السبيل فإنما أعرض عن الصراط وتفرقت به السبيل، حتى خرج بعضهم عن كل طريق من طرق الإسلام، أو من الطرق التي تشبه أن تتصل بالإسلام، وممن وصفهم كاتب المادة بقوله : بل صارت أحكام القــرآن في رأي أصحابها غير واجبة الاتباع، ومن ذهب هذا المذهب أو قريباً منه فلا يمكن أن يعد من المسلمين، ولا أن ينسب قوله إلى أقوال أهل الإسلام، ثم يقول : الله أعلم بالضرر البالغ الذي ألحقه طاغوت التأويل بالمسلمين الذي اخترعه أعداء العقيدة السلفية، وقد تصدى لرده وبيان الباطل والحق منه العلامة ابن القيم في كتابه الصواعق المرسلة بما لا مزيد عليه[17] (أمّا الجهمية والمعتزلة وغيرهم من المتكلمين فمرادهم بالتأويل صرف اللفظ عن ظاهره، وهذا هو الشائع في عرف المتأخرين من أهل الأصول والفقه، ولهذا يقولون: التأويل على خلاف الأصل ، والتأويل

يحتاج إلى دليل، وهذا التأويل هو الذي صنف في تسويغه وإبطاله من الجانبين، فممن صنف في إبطال التأويل على رأي المتكلمين، قد حكى على غير واحد إجماع السلف على عدم القول به) (18) لذلك فإنه يشترط في التأويل أن يكون اللفظ مجملاً ولو عن بعد للمعنى الذي يؤول إليه فلا يكون غريباً عنه كل الغرابة، وأن يكون ظاهر النص مخالفاً لقاعدة مقررة معلومة من الدين بالضرورة أي مخالفاً لنص أقوى منه سنداً كأن يخالف الحديث رأياً ويكون الحديث قابلاً للتأويل فيؤول بل يرد أو يكون النص مخالفاً لما هو أقوى منه دلالة كأن يكون اللفظ ظاهراً في الموضوع، أو يكون اللفظ نصاً في الموضوع والذي يخالفه مفسر ففي كل هذه الصور يؤول، ومن شروط التأويل أن لا يكون التأويل من غير سند، بل لا بد أن يكون له سند ومستمد(19) (أمّا سبب التجاء المتصوفة إلى علم الباطن ومنه إلى التأويل هو أن الصوفية لم يجدوا في القرآن والسنة ما يمكن أن يكون سنداً لهم على منهجهم ومسلكهم، ودليلاً على طرقهم التي اختاروها، والمناهج التي اخترعوها للوصول إلى الله، والحصول علىٰ معرفته ورضائه فالتجأوا إلى علم الباطن والتأويل الباطني ، كما قال (نيكلسون) : لا يمكن أن يكون القرآن أساساً لأي مذهب صوفي، مع ذلك استطاع الصوفية متبعين في ذلك الشيعة أن يبرهنوا بطريقة التأويل نصوص الكتاب والسنة معنى باطناً لا يكشفه الله إلاّ للخاصة من عباده الذين تشرق هذه المعاني في قلوبهم في أوقات جدهم، فكيف سهل على الصوفية بعد سلموا بهذا المبدأ أن يجدوا دليلاً من القرآن لكل قول من أقوالهم ونظرية من نظرياتهم أن يقولوا إن التصوف ليس في الحقيقة إلاّ العلم الباطن الذي ورثه علي بن أبي طالب عن النبي ويلزم من هذا المبدأ: مبدأ التأويل أن تأويل الصوفية لتعاليم الإسلام قد يأتي على أنحاء وأشكال لا حصر لعددها ، مما أدّى إلى تناقض في العبادات والمسائل العلمية ، وكل ذلك مفروض صدقـــــه في النوع لا في الدرجة ؛ لأن معاني القرآن لا حصر لها، وهي تنكشف لكل صوفي بحسب ما منحه الله من الاستعداد الروحي)(20)

المبحث الثالث ـ نظـــــرات في التأويلات العقدية للعقل والنقل:

يأتي تأويل النصوص الواردة في العقائد على ضربين:

الأول : ما ورد في عقيدة كُلف النّاس اعتقادها.

الثانـــي : بخلافــــه .

فالأول هـــو: الإيمان بالله وملائكته، وكتبه ، ورسلـــــه ، والبعث بعد الموت ، والقدر، والنصوص على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة شهيرة ، والمقصود من هذا

الإيمان هـــو تحقيق ما أُنشئ الإنسان هذه النشأة في الدنيا لأجله، وهو الابتـــلاء قال - تعالى - : (**لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**)[21] " والهلاك هو العصيان، والحياه هي الطاعة، ويتفاوت الهلاك والحياة بتفاوت العصيان و الطاعة، ولا يتصور عصيان وطاعة إلاّ ممن علم الأمر والنهي ولا يتصور العلم بأمره ونهيه إلاّ بعد الإيمان بأنه موجود حيّ كما هو واضح وبأنه قادر، إذ لا يعلم استحقاقه الطاعة إلاّ بذلك، وبأنه عالم، إذ لا تنبعث النفس على الطاعة وتنزجر عن المعصية إلاّ بذلك، وبأنه حكيم ، إذ لا يعلم صحة النبوة ويوثق بالجزاء إلاّ بذلك ، كما تقـــرّر في الأصـــول أنه لا تكليف إلاّ بفعل ، والفعل إنما يتأتى في التأويـــل بالإطلاقز الأول ، وهـــو: اللفظ الذي يراد تأويله لا يخلو عن ثلاثة أقـــوال **الأول** : أن يكون في العقائد ، و**الثاني** : أن يكون إخباراً عما قد وقع ، كخلق السموات والأرض، أو عن أمر كوني، فإنه واقع ، كأحوال الشمس والقمر، أو أنه سيقع، كخروج يأجوج ومأجوج والثالث: أن يكون فيما عدا ذلك من الأحكام) [22] ، ومن النّوع الذي فيه ذكر الشرك قول الرَسُـــــولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ " **إِنَّ أَخْـــوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْـــكُمُ الشِّـــرْكُ الْأَصْغَـــرُ " قَالُوا : وَمَا الشِّـــرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " الرِّيَـــاءُ، يَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَـــةِ : إِذَا جُـــزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُـــوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُـــمْ تُـــرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُـــرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُـــمْ جَـــزَاءً** " [23] ، ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم - :" **الطِّيَرَةُ شِـــرْكٌ** " ، **وَمَا مِنَّا إِلَّا أَنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ** " [24] وقول عبد الله في التمائم : إنها من الشرك ، وقول ابن عباس: إن القوم يشـــركـــون بكلبهم، يقولون: كلبنا يحرسنا ، ولولا كلبنا لسُرقنا .

فهذه أربعة أنواع من الحديث، قد كان الناس فيها على أربعة أصناف من التأويل: فطائفة تذهب إلى كفر النعمة ، وثانية يحملها على التغليظ والترهيب ، وثالثة تجعلها كفر أهل الردة ، ورابعة تذهبها كلها ، وتردها ، فكل هذه مردودة غير مقبولة ، لما يدخلها من الخلل والفساد، الذي يرد المذهب الأول ما نعرفه من كلام العرب ولغاتها، وذلك أنهم لا يعرفون كفران النعم إلاّ بالجحد لأنعم الله وآلائه ، وهو كالمخبر على نفسه بالعدم ، وقد وهب الله له الثروة، أو بالسقم وقد منّ الله عليه بالسلامة ، وكذلك ما يكون من كثمان المحاسن ونشر المصائب، فهذا الذي تسميه العرب كفرانا إن كان ذلك فيما بينهم وبين الله، أو كان من بعضهم لبعض، إذا تناكروا اصطناع المعروف عندهم وتجاحدوه [25] ، وفي قول الله- تعالى- : (**ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ**

وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ) [26] وقد اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين أنزل الله ــ جلّ ثناؤه ــ هاتين الآيتين من أول هذه السورة فيهم ، وفي نعتهم وصفتهم التي وصفهم بها من إيمانهم بالغيب ، وسائر المعاني التي حوتها الآيتان ، فقال بعضهم : هم مؤمنو العرب خاصة دون غيرهم من مؤمني أهل الكتاب ، واستدلوا على صحة قولهم ذلك وحقيقة تأويلهم، بالآية التي تتلو هاتين الآيتين ، وهو قول الله ــ عز وجلّ ــ: (وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأَخِــــرَةِ هُمۡ يُوقِنُــــونَ) [27] قالوا: فلم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي أنزله الله ــ عزوجل ــ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ــ تدين بتصديقه والإقرار والعمل به وإنما كان الكتاب لأهل الكتابين غيرها، قالوا: فلما قص الله ــ سبحانه وتعالى ــ نبأ الذين يؤمنون بما إلى محمد وما أنزل من قبله بعد اقتصاصه نبأ المؤمنين بالغيب علمنا أن كل صنف منهم غير الصنف الآخر، وأن المؤمنين بالغيب نوع غير النوع المصدق بالكتابين اللذين أحدهما منزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ــ والآخر منهما على من قبل رسول الله، وعن الربيع بن أنس الذين يؤمنون بالغيب: آمنوا بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، وجنته وناره ولقائه، وآمنوا بالحياة بعد الموت، فهذا كله غيب، وأصل الغيب كل ما غاب عنك، من شيء ، قالوا إذا كان ذلك كذلك ، صح ما قلنا من أن تأويل قول الله – تعالى - :(ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ)[28] إنما هم الذين يؤمنون بما غاب عنهم من الجنة والنار والثواب والعقاب والبعث والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله، وجميع ما كانت العرب لا تدين به في جاهليتها، مما أوجب الله جلّ ثناؤه على عباده الدينونة به دون غيرهم [29]

الخاتمـــــــــة :

وتضمنت بعض النتائج وأهم التوصيات.

أولاً ـ النتائج :

1-المتصوفة طوائف دينية تخالف بعضها بعضا في تأويل النص وشرحه وتفسيره.

2- لم تتألف من الصوفية فرقة خاصة، ولا كان لهم مذهب محدد يصح تسميته مذهب التصوف.

3- اتّضـــح من هذه الدراســـة أن ليس كل من انتسب إلى الصوفية فهـو زنديق؛ بل أن هناك مخدوعون كثر في كل طائفة من الطوائف الدينية ممن لا يعرفون حقيقة هذه الطائفة وفكرتها الأساسية.

ثانياً ــ التوصيات:

1-اتباع السلوك العقدي الصحيح الذي يدعو إلى ملازمة كتاب الله ــ تعالى ــ وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

2- ترك البدع والأهواء وتعظيم الحرمات الباطلة التي ليس لها أساس في دين الإسلام، والبعد عن الممارسات الخاطئة التي تنبع من الغلو في التصوف.

3- الحذر من التصوف الذي يفسد العقل عن العقيدة السليمة ونشر الخرافات والدجل والشعوذة بين المسلمين وانحرافهم عن دينهم القويم.

4- البعد عن كل الشبهات والأباطيل التي تثير الفتن وتفسد العقيدة، والإعراض عن الإيمان بالله في أسمائه وصفاته.

الهوامــــــــــــش :

القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.

(1) - ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـــ. ، مادة (ص ـ و ـ ف).

(2)- أساس البلاغة ، أبو القاسم الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـــ ــ 1998م. ، مادة (ص ـ و ـ ف).

(3) - معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429هـ ــ 2008م.، ج: 2، ص1336.

(4)- ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد بن إسحاق الكلابادي ، دار الكتب العلمية، بيروت. ، ج:1، ص3.

(5) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، أحمد الزيات، دار الدعوة، مادة(ص و ف)، ج:1، ص: 529.

(6) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، 1403هـ ــ 1983م.، ج:1، ص60.

(7) ينظر : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي ، تحقيق : علي دحـــروج، مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت، الطبعة: الأولى، 1996م.، محمد علي التهانوي، ج: 2، ص1102.

(8) ينظر: شـــــرح رسالة العبودية لابن تيمية، عبد الرحيم السلمي، ج: 17، ص4.

(9) ينظر: الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، سهل بن رافع العتيبي، دار كنوز أشبيليا.، ج: 1، ص287 .

(10) ينظر: شرح رسالة العبودية لابن تيمية، عبد الرحيم السلمي، مرجع سابق، ص4.

(11) الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، مرجع سابق، ص288.

(12) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل الجوهري، تح: أحمد عطا، دار العلم للملايين، بيروت ــ لبنان، الطبعة: الأولى، 1407هـ ــ 1987م.مادة (أ ــ و ــ ل).

(13) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تح: محمد عوض ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، 2001م، ج: 5، ص: 329.

(14) سورة الأعراف، الآية: 53.
(15) سورة آل عمران، الآية: 7.
(16) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ج: 6، ص198.
(17) ينظـــــــــر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، أبو سهل محمد المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى. ، ج:9، ص376، 377.
(18) مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق : رضوان جامع، دار الفكر، بيروت، الطبعة: 1418هـــ ، ج: 1، ص41.
(19) ينظـــــــر: إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، أبو عبد الله محمد بدر الدين، تح: وهبي سليمان غاوجي، دار السلام للطباعة والنشـــر مصر، الطبعة: الأولى، 1410هـــ ـــ 1990م. ، ج:1، ص: 60.
(20) ينظر: التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي الباكستاني، دار إدارة ترجمان السُنة، لاهور باكستان، الطبعة: الأولى، 1406هـــ ـ 1986م. ، ج:1، ص251.
(21) سورة الأنفال، الآية: 42.
(22) رســــالة في حقيقة التأويل ، عبد الرحمن بن يحي اليماني، تحقيـــق : جرير الجزائــــري، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيـــع، الرياض، الطبعة: الأولـــى ، 1426هـــ - 2005م.، ج:1، ص : 50.
(23) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق : شعيب الأرنـــؤوط ـــ عادل مرشد وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـــ ـــ 2001م. ، ج:39، ص43، حديث(23636).
(24) رواه ابن ماجة في سننه ، أبو عبدالله محمد بن يزيد، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ـــ فيصل عيسى البابي ، كتاب: الطب، باب: من كان يعجبه الفال ويكره الطيرة، حديث(3538).
(25) الإيمان، القاسم بن سلام، أبو عبيد القاسم البغدادي، تح: محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، 1403هـــ ـــ 1983م.، ج: 1، ص39.
(26) سورة البقرة، الآية: 3.
(28) سورة البقرة، الآية:4.
(28) سورة البقرة، الآية:3.
(29) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـــ ـــ 2000م.، ج:1، ص: 237، 238